الذي يوجه لهذا الاصلاح ينبع اساسا من عدم الجذرية التي عولجت بها المسألة الدينية · اذ انه حين يتم بمعزل عن الاغلبية الشعبية وضد مصالحها وانماط حياتها ، وحين ينجز في ظل حراب الاحتلال ، يقود الى « انشقاق بين رجال الثقافة والفكر والفقه المرتبطين بالدولة ، وبين القاعدة الشعبية التي فقدت الثقة بهم » · اي انه لم يكن ، في لاجذريته وابتعاده عن الجماهير ، الا مرحلة استطاعت عبرها الفئات الطفيلية القفز الى السلطة ، واقامة الدول ـ الاقطار والكيانات ·

هنا ، يبرز السؤال الخاص بالمرحلة الليبرالية · فلقد مرت معظم الاقطار والكيانات العربية بأنظمة حكم برلمانية ، قبل ان تبدأ سلسلة الانقلابات العسكرية· فلماذا لم تصمد التجربة الليبرالية العربية ؟

وهل هناك ويبرالية عربية ؟

ان الشرط الاولي ، لوجود ديمقراطية برجوازية ، هو وجود الافراد الاحرار· تعميم الحرية البرجوازية ، التي تسمح ولو مكرهة ، للطبقات الاجتماعية الاخرى بالتعبير عن نفسها · ومن شروطه الاساسية تعميم التعليم ونمو الفكر النقدي · لكن ليبرالية السماسرة وكبار الملاكين العقاريين ، لم تكن لتقبل هذا التعريف لليبرالية · فكانت اولى المحاولات لتحويل التجزئة الى واقع دائم · لذلك تميز الفكر الذي انتج فيظلها ، رغم الحرية الكبيرة نسبيا التي وفرتها بكونه يستكمل مشروع « الرأسمالية التابعة » · « بقي النظام السياسي نيابيا ديمقراطيا ، طالما لم يكن هناك سياسة · انما حرب كامنة ودائمة . وهزيمة عسكرية للاغلبية » ·

ان تصفية الديمقراطية ، هي تصفية الاغلبية · وحين تستبعد الاغلبية عن السياسة ، ويجري تهميشها عقليا وسياسيا وفكريا ، فان الديمقراطية تصبح شكلية ، وهي رغم شكليتها ستشكل عائقا في وجه نمو النمط الرأسمالي التابع· لذلك يجري استبدالها بالانقلاب · هنا تصل هزيمة الاغلبية الشعبية الى ذروتها ويحدد الاستهلاك نموذج الانتاج ·

ان الموضوعة الرئيسية التي يكشفها كتاب برهان غليون ، هي مسألة كون الاستهلاك هو الذي يحدد نموذج الانتاج · اي ان الاقتصاد القومي يتحدد من خارجه · اما البنية الطبقية ، فانها تشهد توسعا استهلاكيا في القمة ، واقتصاد كفاف في القاعدة · هذا النموذج الاستهلاكي ، هو الذي سيحدد طبيعة « التنمية » من جهة ، سيؤكد على الطابع القمعي الذي للسلطة من جهة اخرى. فتصبح التنمية نهبا متزايدا للاكثرية الشعبية ، وتصبح السلطة هي اداة حماية هذا النهب · ضمن هذا الواقع ، سوف يصاب الهيكل الاجتماعي برمته بالجمود وستكون التحولات ، هي اساسا ، تحولات في الطبقة الوسيطة ، من اجل مزيد